

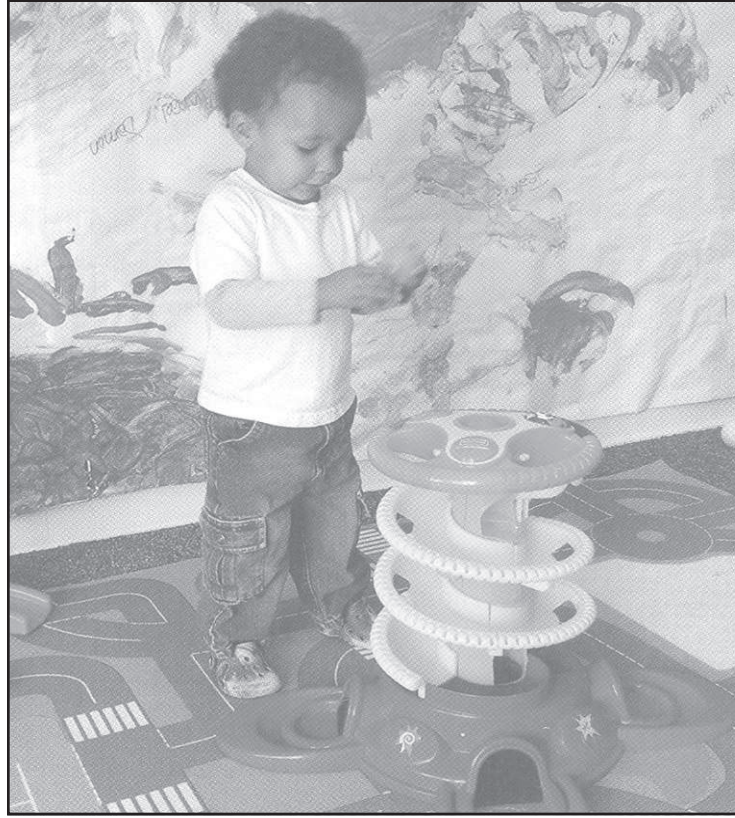


Chapter 1

الفصل الأول

فهم أهمية البيئة

Understanding The Importance of the Environment



اغلق عينيك، وتصور بيئة من أيام طفولتك، تستحضر لك مشاعر إيجابية. تذكر كيف كنت تشعر عندما قضيت الوقت في تلك البيئة. فكر في الأصوات، و الروائح والخبرات التي في هذا المكان. الآن ارسم هذا الفراغ ، أَلف قصيدة قصيرة تصف فيها هذا المكان، أو اكتب قائمة من الكلمات الوصفية تعكس جوهر هذه البيئة.

لقد طلبت من المئات من الطلبة المشاركة في هذا التمرين، على مدار الأعوام الماضية، ووجدت أن هناك خيوطا مشتركة في وصف الطلبة لبيئاتهم المفضلة. والتي تبين أنها بيئات تتميز بالاستكشاف، وإجراء التجارب الحسية الغنية التي توظف مصادر الطبيعة غالبا،

فهم أهمية البيئة

وحرية اختيار الأنشطة. ويعد هذا المكان ملاذاً قد خصصه الطالب لنفسه أو قام ببنائه وتصميمه لذاته. فهل ينطبق ذلك على بيئتك الخاصة؟

هل يمتلك الطلبة، الذين تعرفهم أو تتعامل معهم اليوم، بيئات تلبي احتياجاتهم الخاصة؟ سوف يوضح لك هذا الكتاب الطرائق التي يمكن أن نستخدمها لخلق بيئات غنية يمكن أن يتذكرها الأطفال كبيئات مفضلة غنية بالخبرات الحسية، والاستكشاف، والاختيار، والحرية – كملجأ شخصي ممتع.

لماذا تعد البيئة مهمة لتعلم الأطفال؟

Why is the Environment important for Children's Learning?

تؤثر البيئة المحيطة فينا، على قدرتنا في تكوين العلاقات، وفاعليتنا في العمل والنشاط أو اللعب وحتى في صحتنا. علاوة على ذلك، تلعب البيئة الأولى لمجموعة الطفولة دوراً حاسماً في تعلم الأطفال ونموهم لسببين رئيسيين هما:

أولاً: يخضع الأطفال الصغار إلى عملية نمو عقلي سريع في هذه المرحلة النمائية. ففي السنوات الأولى من العمر، يكون الدماغ العديد من الوصلات العصبية ونقاط تشابك أكثر بكثير من حاجته والوصلات التي يستخدمها الطفل تكون وصلات قوية، في حين أن نقاط التشابك والوصلات العصبية التي لا يتم استخدامها تضعف وتضمحل. فمن هنا تساعد خبرة الأطفال على صناعة هذا القرار. ويقارن المجلس العلمي الوطني لتطوير الطفل تطور العقل ببناء منزل كما على النص الآتي، "يمكن أن يؤدي نقص الخبرة المناسبة إلى تغيير في المخططات الوراثية تماماً مثلما يمكن أن يؤدي نقص المواد المناسبة إلى تغيير خطط العمل". وذكروا أيضاً "إن بناء مهارات معرفية واجتماعية ووجدانية متقدمة على بنية أولية ضعيفة للدماغ أصعب وأقل فاعلية بكثير من وضع الأشياء على نحو صحيح من البداية" (2007, p.1) لأن البيئة التي نعرض الأطفال لها تؤثر بشدة في طريقة نمو عقولهم، وذلك لارتباط خبرات الأطفال بالبيئة المحيطة (Strong-Wilson & Ellis 2007, p.43)

ثانياً: تمتلك البيئة الأولى لجماعات الأطفال دوراً جوهرياً في نمو الأطفال، وذلك عائد إلى مقدار الوقت الذي يقضيه الأطفال داخل تلك البيئات. حيث يقضي العديد من الأطفال قدراً كبيراً من ساعات اليقظة في تجمعات أماكن الطفولة الأولى. على سبيل المثال، سيقضي الرضيع في برنامج رعاية الطفولة 12,000 ساعة وهو أكبر من الوقت الذي يمكن أن يقضيه في المرحلتين الأساسيتين والثانوية (Greenman, 2005a, p.1) وسيقضي الأطفال 4,000 ساعة أخرى في رياض الأطفال حتى الصف الثالث.

تعكس بيئة الطفولة المبكرة فلسفة وقيم ومعتقدات المعلم عن الأطفال والتعلم إما من خلال تصاميم مدروسة وموزونة، أو من خلال إشراف واهن وضعيف. وبالطبع هذا يحمل رسائل لكل المعنيين ببيئة الطفولة – الأطفال أنفسهم، الآباء، وهيئة التدريس. هل هذا هو المكان الذي أشعر فيه أنني شخص مرحب به، وهل يشبع احتياجاتي الجسمية والاجتماعية والعقلية؟ هل تلك هي البيئة التي تتم رؤيتي فيها على أنني كفؤ وجدير بالاهتمام؟ هل يتم تمرير المعلومات لي على نحو سلبي؟ أم أنني أشارك بفاعلية في عملية بناء المعرفة؟ هل يرى شخص ما أنني مستقل على نحو كافٍ لتوفير بيئة جميلة لصالحي؟ وتؤمن أنيتا وهي مصممة بيئة طفولة شهيرة- بأنه ينبغي علينا أن نصمم بيئات الطفولة المبكرة للمعجزات والعجائب وليس للحدود الدنيا. حيث تقول:

"إن الأطفال هم معجزات. فالإيمان بأن كل طفل يمثل معجزة يمكن أن يغير من طريقة تصميمنا لرعايته. وعندما نستدعي معجزة في حياتنا، فإننا نجهز أنفسنا والبيئة من حولنا. فقد نعزز الزهور أو نقدم عروض خاصة. ونعقم، والمكان، وأفكارنا من كل شيء ماعدا الحب الموجود داخلنا. فوظيفتنا أن نخلق مجالا مؤهلا لاستقبال هذه المعجزة بكل احترام وتقدير. وعلينا تصميم المساحات والبيئات من حولنا للمعجزات، وليس للحدود الدنيا. (2001, p.13).

سوف نتناول في هذا الفصل البيئة من حيث تنمية الممارسات المناسبة للأطفال، ونناقش كيف تقلل هذه البيئة المناسبة من المشكلات السلوكية، ونستعرض البيئات حسب آراء الباحثين، ونختبر منهج ونظريات الطفولة المبكرة التي تركز على البيئة، وأخيرا ندرس دور المعلم في البيئة. ويشكل هذا الفصل الأساس لبقية فصول هذا الكتاب، ويساعدنا على تحقيق هدفنا المنشود منه وهو تصميم بيئات مناسبة للمعجزات.

البيئة وتنمية الممارسة المناسبة:

The Environment and Developmentally Appropriate Practice

أصدرت الجمعية الوطنية لتعليم الأطفال الصغار (NAEYC) – أكبر جمعية للطفولة المبكرة في العالم (مستندة إلى العديد من الأبحاث) بيان توضح فيه موقفها من تنمية الممارسة المناسبة في برنامج الطفولة المبكرة تحت عنوان برنامج الممارسة الملائمة لتطور الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة DAP (Bredekamp & Copple, 1997; Copple & Bredekamp, 2009) جاء فيه: "تولد المراجعة الواسعة للآداب التربوي حول التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، مجموعة من المبادئ الضرورية لإصلاح الممارسات في مرحلة الطفولة المبكرة" (Bredekamp & Copple, 1997, P.9) حيث ترتبط العديد من هذه المبادئ المنصوص عليها في بيان موقف "تنمية الممارسة الملائمة" DAP بالبيئة (Bredekamp & Copple, 1997; Copple & Bredekamp, 2009) وفيما يأتي سوف نوضح تلك المبادئ والعلاقات.

فهم أهمية البيئة

عندما تقرأ هذا الجزء، سوف تلاحظ أن كل وصف لكيفية دعم البيئة لمبادئ تنمية الممارسة الملائمة (DAP) يناقش مفهوم "البيئة جيدة التصميم". ويرجع ذلك إلى أن البيئة يمكن أن تدعم أو تعيق تحقيق مبادئ الممارسات المناسبة للتطوير. فعندما تكون البيئة مصممة على نحو جيد فإنها تدعم مبادئ الـ (DAP).

Importance of Play

أهمية اللعب:

"يعد اللعب وسيلة مهمة لتنمية التنظيم الذاتي عند الأطفال، وتقوية الكفاءة اللغوية، والمعرفية، والاجتماعية أيضا" (Copple & Bredekamp, 2009, P.14) حيث تمنح البيئة المصممة على نحو جيد الفرصة للأطفال للعب بعمق وتركيز. فالبيئة تمثل الستارة الخلفية للعب، وتوفر المحتوى، والسياق، والمعنى (Cosco & Moore, 1999, P.2) وإن قيمة اللعب وأهميته لها تاريخ طويل في مرحلة الطفولة المبكرة. ففي أوائل القرن التاسع عشر، ذكر فروبل (Froebel, 1800s) وهو غالبا ما يطلق عليه أبو رياض الأطفال - "إن في النشاط أو اللعب أعلى تعبير عن النمو الإنساني في مرحلة الطفولة؛ فمن خلاله يعبر الطفل تعبيراً حراً عن كوامن روحه" (Froebel, 1912, P.50) وحتى اليوم يظل اللعب مهماً في مرحلة الطفولة المبكرة كما هو واضح من مبادئ "تنمية الممارسة المناسبة" DAP.

وقد تم الاعتراف عالمياً بأن اللعب ليس فقط وسيلة مهمة للتعلم، وإنما حق مهم من حقوق الأطفال أيضاً. على سبيل المثال، فهو منصوص عليه في اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل (1989)، وهي وثيقة دولية ملزمة قانوناً، فعلى كل طفل أن يشارك في اللعب، وفي جميع أنحاء العالم. وبالرغم من ذلك، فإن المنظور الثقافي للمجتمع - يحدد كيفية التعبير عن اللعب، ودور البالغين في اللعبة، والطريقة المرغوب فيها (فردية أم جماعية)، ودور جنس الأطفال في اللعب (Johnson, Christie, & Wardle, 2005). ويسمح النشاط للأطفال بممارسة الأدوار الثقافية وتجربة أدوار جديدة. "في أثناء اللعب لا يستكشف الأطفال الأدوار الثقافية، وتوقعاتهم حول الجنس الآخر، والعرق، والطبقة، ويعيدون انتاجها فحسب، بل يجربون ويقاومون تلك التقاليد الثقافية من خلال تكوينهم للمجموعات وكسرهم للقيود داخل مجموعات اللعب" (Wohlwend, 2005, P.78).

من خلال اللعب، يتعلم الأطفال قواعد التفاعل الاجتماعي وبنون كفايات اجتماعية، ويمارسون مهارة التنظيم الذاتي. وفي أثناء اللعب، يمكنهم تقمص شخصيات أخرى، محاولين تأدية أدوارهم وتبني وجهات نظر جديدة. كما يسمح اللعب للأطفال "بتكوين معاني ومدلولات جديدة من مواقف وخبرات وجدانية صعبة تشكل تحدياً لهم" (Haight, Black, Ostler, & Sheridean, 2006, P.210) علاوة على ذلك، يساعد اللعب على تخفيف حدة التوتر والضغط.

يعد اللعب في بيئة غنية الوسيلة الأمثل للتنمية المعرفية، إذ يشارك الأطفال بفاعلية في نشاط متكامل، غالباً ما يطلون فيه معضلات معقدة. وطالما أن اللاعبين يتحكمون في العمل وسيناريو اللعب، إذاً يكون اللعب في مستوى النمو المثالي (Johnson et al., 2005) يساعد اللعب أيضاً على المرونة في التفكير وتحمل المخاطرة (Sluss, 2005) يقول لي فيغوتسكي باحث روسي شهير- أن اللعب يخدم عدة أغراض إضافية: أولاً: يشجع على التفكير المجرد بفصل المعنى عن المادة. على سبيل المثال ، قد تصبح مجموعة من المكعبات قارب أو منزل، أو هاتف. ثانياً: يدعم اللعب التعلم بمساعدة الأقران الأكفيا. ثالثاً: يشجع اللعب على مخاطبة الذات وبالتالي يؤدي إلى المزيد من التنظيم الذاتي (Johnson et al., 2005)

Play Characteristics

خصائص اللعب:

بالرغم من أن هناك العديد من التعريفات للعب، فإن خصائص اللعب - غالباً - ما تتضمن ما يأتي:

- تطوعي.
- يتطلب المشاركة بفاعلية من قبل المشتركين.
- يتضمن نشاطاً رمزياً (التظاهر).
- بعيد عن القواعد الخارجية ، حيث يحدد اللاعبون القوانين.
- يركز على العملية أكثر مما يركز على المنتج.
- ممتع وشيق (Sluss, 2005)

مراحل اللعب عند بياجيه:

أوضح بياجيه (1962) أن للعب ثلاث مراحل، وهي:

المرحلة الأولى: تعرف بمرحلة الممارسة أو النشاط الحسي الحركي والتي تمتد من الميلاد حتى عُمر السنتين، وتتسم هذه المرحلة بال تكرارية حيث يمارس الأطفال النشاط نفسه بصورة متكررة. على سبيل المثال، قد تشاهد الطفل يملأ دلو ثم يفرغه، ويُعيد الدورة مرة أخرى وهكذا من جديد.

المرحلة الثانية: تمثل النشاط الرمزي للأطفال، وتمتد من عمر سنتين حتى سبع سنوات، وقسم بياجيه هذه المرحلة داخليا إلى:

- 1- بناءية عن طريق الخلق والابتكار باستخدام المواد.
- 2- تمثيلية وفق نشاط التظاهر عن طريق تمثيل الأشياء ببعضها بعضاً.

3- النشاط التمثيلي الاجتماعي من خلال نشاط التظاهر بين الأطفال الآخرين عن طريق التعاون المتبادل (Sluss, 2005).

وفي تلك المرحلة، يستخدم الأطفال شيئاً ما ليعبر عن شيء آخر على سبيل المثال، يمكن للطفل أن يستخدم موزة بلاستيكية لتمثل تليفوناً في النشاط التمثيلي. ويؤكد الخبراء على أن ذلك يمثل -غالباً- بداية التفكير التمثيلي.

المرحلة الثالثة: تمتد من سن السابعة حتى الحادية عشر، والألعاب فيها منظمة ولها قوانين محددة، والأدوار واضحة، مثل لعبة زقطة وهي لعبة يطاردها فيها طفل طفلاً آخر محاولاً أن يمسكه، والمربعات الأربعة، ولعبة الطاولة، والكوتشينة، وهكذا (Sluss, 2005).

الأوصاف الاجتماعية للعب: Social Descriptions of Play

إضافة إلى تلك الأوصاف المعرفية للعب، فإن هناك أوصاف اجتماعية للعب أيضاً. فلقد حدد الخبراء مراحل اللعب تلك دفعة واحدة. ومع ذلك، يعتقد البعض الآن أنه بالإضافة إلى ذلك يؤثر النمو، وأساليب اللعب، والمزاج، والثقافة في نوعية النشاط الذي يشترك فيه الطفل (Isenberg & Jalongo, 2001) وتتضمن الأوصاف الاجتماعية للعب التي حددها ميدلارد (Mildred Parten, 1932) ما يأتي:

- غير المشغول أو الخالي: لا يشارك الطفل في النشاط.
 - المشاهد والمتفرج: يشاهد الطفل الآخرين يلعبون ويمكنه أن يطرح الأسئلة.
 - الفردي: يلعب الطفل منفرداً دون تفاعل مع الآخرين.
 - المماثل أو الموازي: يلعب الطفل بالقرب من الآخرين، حيث يمكنه أن يقلد لعب الطفل الآخر، من غير أن يشترك في محادثة معه.
 - الترابطي أو المشترك: يبدأ الطفل في اللعب مع الآخرين.
 - التعاوني: يلعب الطفل في مجموعة. يتسم هذا اللعب بالأهداف المشتركة المحددة.
- يمكن أن تساعد ملاحظة نوع اللعب الذي يشترك فيه الأطفال والمعلم على بناء البيئة الداعمة للعبهم. فعلى سبيل المثال، إذا كان الأطفال يلعبون بطريقة اللعب الموازي، فعلى المعلم التأكد من أن هناك نسخ ثنائية أو مواد مماثلة تكفي حاجة الطفل الآخر للعب.

وهناك اهتمام في جميع أنحاء العالم بتوفير فرص للأطفال للمشاركة في اللعب أو النشاط. يؤثر كل من الفقر، والعنف، والاعتماد الزائد على وسائل الإعلام الترفيهية، والمكان غير المناسب، والتركيز على الجانب الأكاديمي سلباً في قدرات الأطفال وأوقات اللعب (Sluss, 2005). علاوة

على ذلك إن الوقت المخصص للعب يقل متأثراً بالقيم الثقافية وكذلك تفضيل الأنشطة المنظمة والمرتبة على اللعب الحر. وتعد هذه مهددات تنذر بالخطر بالنسبة إلى الأطفال، ومن هنا وضع الاتحاد الدولي للعب (1989) إعلاناً بحق الطفل في اللعب. حيث أكد أن للعب أهمية بالغة على صحة الأطفال الجسمية، والعقلية، والتعليم، وأنه يجب علينا أن نتأكد من حصول الأطفال على فرص للعب في الأوساط التعليمية، والأسرية والاجتماعية.

يعد اللعب الذي يشترك فيه الأطفال على مستوى العالم وسيلة مهمة لنمو الأطفال وتطورهم، كما أن البيئة الغنية باللعب تزود الأطفال بمزايا اجتماعية ووجدانية وجسمية ومعرفية.

Active Learning Is Important

أهمية التعلم النشط:

يتعلم الأطفال بطرائق متنوعة، ودائماً ما يكونون نشطين ذهنياً في السعي لاكتشاف العالم من حولهم، هناك مجموعة كبيرة من استراتيجيات التدريس الفاعلة في دعم كافة أنواع التعلم تلك (Copple & Bredekamp, 2009, P.14). فغالبا ما يحتاج الأطفال في السنوات الأولى إلى خبرة عملية للتعلم. وكما ذكر (Bredekamp & Copple, 1997)، "يحتاج الأطفال إلى تكوين فرضياتهم بأنفسهم، ويستمررون في تجربتها واختبارها من خلال التفاعل الاجتماعي، والمعالجة الجسمية، وعمليات التفكير الخاصة بهم- ملاحظة ما يحدث، والتفكير في النتائج التي يحصلون عليها، وطرح الأسئلة، وتكوين الإجابات". (P.13) تزود البيئة المصممة على نحو جيد الأطفال بفرص متعددة لبناء معارفهم من خلال التجارب المباشرة. وعلاوة على ذلك، تسمح البيئة المصممة جيداً بأشكال متنوعة للتفاعل (من طفل لقرينه، من طفل للمعلم، مجموعة صغيرة من الأطفال) وتوفر للمعلم العديد من الفرص ليقود ويوجه تعلم الأطفال مستخدماً مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات المختلفة مثل النمذجة، العروض التوضيحية، المناقشة والحوار، والتعليم المباشر.

الترباط و التداخل بين مجالات النمو والتعلم:

Domains Are Related and Influence Each Other

"تعد كل مجالات نمو وتعلم الأطفال الجسمية والاجتماعية والوجدانية والمعرفية مهمة، ومتربطة؛ حيث يؤثر ويتأثر نمو وتعلم الأطفال في مجال ما بالمجالات الأخرى" (Copple & Bredekamp, 2009, P.11) تستطيع البيئة المصممة جيداً تسهيل وتيسير النمو عبر تلك المجالات. أولاً: توفر الخبرات والتجارب التي تكمل التعلم. فعلى سبيل المثال، بينما يبنى الأطفال بالمكعبات، فإنهم يستعملون كلتا المهارات الحركية العامة والدقيقة. إضافة إلى ذلك، يمارسون المهارات اللغوية والتعاونية مع الأطفال الآخرين. وكذلك، تستخدم المهارات المعرفية عندما يطبقون أسلوب حل المشكلات من خلال عمليات البناء وتعلم الأشكال والوزن، والتوازن.

فهم أهمية البيئة



بعد أن قدمت أسرة صينية للأطفال حفل شاي استمر المعلم في تعليمهم بهذا المركز المسرحية الدرامية

وثانيا: تسمح البيئة المصممة جيدا للأطفال بأن يكونوا مستقلين، ويمارسوا الرقابة والتحكم، ويتوصلوا إلى الكفاءة والبراعة في أداء المهام. وتساعد تلك المهارات الطفل على تنمية مفهوم الذات على نحو صحي ("يمكنني أن أقوم بهذا!"). فعندما يمتلك الأطفال مفهوم ذات صحي وسليم، تزداد احتمالات نجاحهم اجتماعيا وأكاديميا.

التعلم يتبع تسلسلا موثق على نحو جيد، ويزداد تعقيدا بمرور الوقت:

Learning Follows Well-Documented Sequences, Becoming More Complex Over Time

"يتجه النمو نحو مزيد من التعقيد، تنظيم الذات، والقدرات الرمزية أو التمثيلية" (Copple & Bredekamp, 2009, P.12). أضف إلى ذلك أن "العديد من جوانب تعلم الأطفال ونموهم تتبع تسلسلا موثق على نحو جيد، وتؤدي إلى قدرات، ومهارات مستقبلية وبناء المعارف، بناءً على تلك القدرات المكتسبة بالفعل" (Copple & Bredekamp, 2009, P.11) حيث يمكنك أن تجد في الفصل الأطفال في مستويات مختلفة من حيث تسلسل النمو. وعلى سبيل المثال، في فصل الأطفال ذوي الأربع سنوات، يمكنك أن تجد طفلا يستطيع أن يعد حتى العشرة من غير فهم وفي الوقت نفسه غير قادر على حساب عدد مجموعة من الأشياء، وآخر يستطيع أن يعد مجموعة من الأشياء حتى 20، وآخر يستطيع أن يدرك الأرقام وينظر بينها وبين مجموعة من الأشياء، وطفل آخر يستطيع أن يقوم بعمليات إضافة أو طرح بسيطة. توفر البيئة المصممة جيدا المعالجات الرياضية الكافية لكل مستوى من تلك المستويات.

Development Is Variable

تسلسل النمو:

"يتقدم النمو والتعلم بمستويات مختلفة من طفل لآخر، و بمعدلات متفاوتة في مناطق مختلفة من أداء الطفل" (Copple & Bredekamp, 2009, P.11) وتوفر البيئة المصممة جيدا مجموعة متنوعة من المواد والأنشطة التي تلبي احتياجات واهتمامات كل الأطفال. على سبيل المثال، في مركز الممارسات اليدوية في عمليات الجمع الصغيرة، يقوم كل من جمال وايزابيل

بالفرز، حيث يفرز جمال الحشرات مستخدماً خاصيتين (الحجم والنوع)، وتصنف إيزابيل المفاتيح مستخدمة خاصية واحدة (نوع المفتاح)، بينما يكمل جون أحجية ديناصور بها اثنتي عشر قطعة. أما تيرون وساره فيعملان معاً على أحجية تركيب القطع لسلحفاة مكونة من 25 قطعة. فباستخدام المواد غير المحدودة- المواد التي يمكن استخدامها في عدة صور- مثل: المفاتيح، والحشرات المصنوعة من البلاستيك، والمواد المحدودة أو المغلقة النهاية- المواد التي يمكن استخدامها بصورة واحدة فقط - مثل المستويات المختلفة من الألغاز، ويكون كل الأطفال قادرين على اختيار المهمات التي تستثيرهم وتلبي قدراتهم المختلفة.

تأثير السياقات الاجتماعية والثقافية في التعلم:

Social and Cultural Contexts Influence Learning

"يتأثر النمو والتعلم بالعديد من السياقات الاجتماعية والثقافية، (Copple & Bredekamp, 2009, P.13) حيث تساعد البيئة المصممة جيداً على الفهم الثقافي وذلك من خلال عكس حياة الأطفال والأسر في البرنامج على نحو دقيق، حيث يرى الأطفال أنفسهم يفكرون في المواد المختارة داخل الفصل، في صورههم وصور أسرهم، وفي اللغة المنطوقة والمكتوبة المستخدمة داخل الفصل. في الكتب، والصور، والموسيقى، والفن، والممارسات اليدوية، والألعاب التمثيلية متعددة الثقافات والمتمثلة في الأطفال الموجودين داخل غرفة الفصل، وكذلك الثقافات الأخرى توسع فهم الأطفال (وذلك بسبب مناقشة الثقافة المتعمقة انظر الفصل الثاني).

تفاعل النضج الحيوي أو البيولوجي والبيئة:

Biological Maturation and the Environment Interact

"ينتج النمو والتعلم من التفاعل الحركي والمستمر بين النضج البيولوجي أو الحيوي والبيئة" (Copple & Bredekamp, 2009, P.12) حيث توفر البيئة المصممة جيداً مجموعة متدرجة من التحديات فبينما يكمل طفل تحدياً ما بنجاح يكون طفل آخر في الانتظار. فعلى سبيل المثال، بعد أن يكمل طفل ما الأحجية المكونة من 12 قطعة، يمكنه أن يعالج أحجية مكونة من 18 قطعة. ويمكن للطفل أن يعمل على نحو فردي أو مع آخرين. حيث يتحكم الطفل في الوقت الذي يقضيه في نشاط معين. تسمح هذه الحرية للأطفال بأن يصبحوا متعلمين موجهين ذاتياً، ويتعلمون من العالم المادي والاجتماعي المحيط بهم. وهي أيضاً تقدر وتحترم مستوى النضج لكل طفل على حدة. وكما ذكر Maxwell (2007) "يمكن أن تكون الخصائص المادية للبيئة جزءاً مهماً في برنامج رعاية الطفل لأهمية ثقافة المعلم وخبرته" (P.240).

Practice Advances Development

تؤدي الممارسة لمزيد من النمو:

"يتقدم النمو والتعلم عندما يتم تحدي الأطفال بأن يؤديوا عملاً ما في مستوى أعلى كفاءة

فهم أهمية البيئة

قليلًا من مستواهم، وأيضًا عندما تتاح لهم العديد من الفرص لممارسة المهارات المكتسبة حديثًا" (Copple & Bredekamp, 2009, P.15) تسمح البيئة المصممة جيدًا للأطفال بممارسة المهارات في مواقف واقعية منطقية (باستخدام المهارات في مواقف حقيقية من حياتهم بدلًا من استخدامها من خلال التمرين). على سبيل المثال، سوف يستخدم الأطفال مهاراتهم النامية في الكتابة في العديد من المحاور مثل: عنوان أعمالهم الفنية، وكتابة علامات لبنائاتهم المصنوعة من المكعبات، وكتابة قوائم الطعام في لعبة المطعم التمثيلية. وتعد المهام الواقعية الأكثر جذبًا وفاعلية من تلك المهام التي يتم أداؤها من خلال تمرين أو توجيه مباشر) (Cooper, Capo, Mathes , & Gray, 2007)

يحدث النمو في سياق يحتوى علاقات ثابتة وأمنة:

Development Occurs in the Context of Secure, Consistent Relationships

"ينمو الأطفال على نحو أفضل عندما ينعمون بعلاقات آمنة وثابتة مع البالغين المسؤولين عنهم، وتتوافر لهم فرص تكوين علاقات إيجابية مع أقرانهم" (Copple & Bredekamp, 2009, P.13) حيث تكون البيئة المصممة جيدًا مكانًا يمكن أن يجد فيه الأطفال البالغين الملجأ، والتربية، والرعاية، والراحة، والشفقة، والرحمة، والوحدة والمجتمع (Greenman, 2005a) حيث تزدهر العلاقات عندما يمتلك الأطفال فرص اللعب مع أقرانهم في أنشطة يختارونها بأنفسهم. حيث يساعد اللقاء مع أحد البالغين والذي غالبًا ما يحدث بتفاعل الأطفال في مراكز التعلم على تكوين العلاقات الإيجابية.

تُشكل التجارب والخبرات ميول وسلوكات المستقبل:

Experiences Shape Future Dispositions and Behaviors

"تشكل خبرات الأطفال دوافعهم وأساليب تعلمهم، مثل: المثابرة، وروح المبادرة، والمنافسة، والمرونة. وفي المقابل، تؤثر تلك الميول والسلوكات في تعلمهم وتطورهم" (Copple & Bredekamp, 2009, P.15). البيئة المصممة جيدًا توفر عدة طرائق لتعلم المهارة نفسها من خلال عدة محاور للتعلم. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يتعلم الأطفال مهارات الرياضيات عندما يربطون الوقت بالنشاط الموسيقي في مراكز الموسيقى، ويقومون بالتصنيف في مراكز الممارسات اليدوية، ويمارسون نشاط في الرياضيات على الحاسوب، ويكملون وصفة طعام في زاوية الطهي، أو يبنون بيت من المكعبات في منطقة البناء. كما يمكن أن يعبروا عما يتعلمونه من خلال الموسيقى، والفن، والرقص، أو الكتابة. ويسمح هذا للأطفال باختيار وسيلة التعلم الأكثر فاعلية لهم من خلال تعريضهم لمجموعة كبيرة ومتنوعة من خيارات التعلم؛ تزداد المثابرة، وروح التقدم عندما يجد الأطفال الفرصة ليتعلموا بطرائق ممتعة وتستثير دافعيتهم.

Early Experiences Are Critical

الخبرات والتجارب المبكرة مهمة:

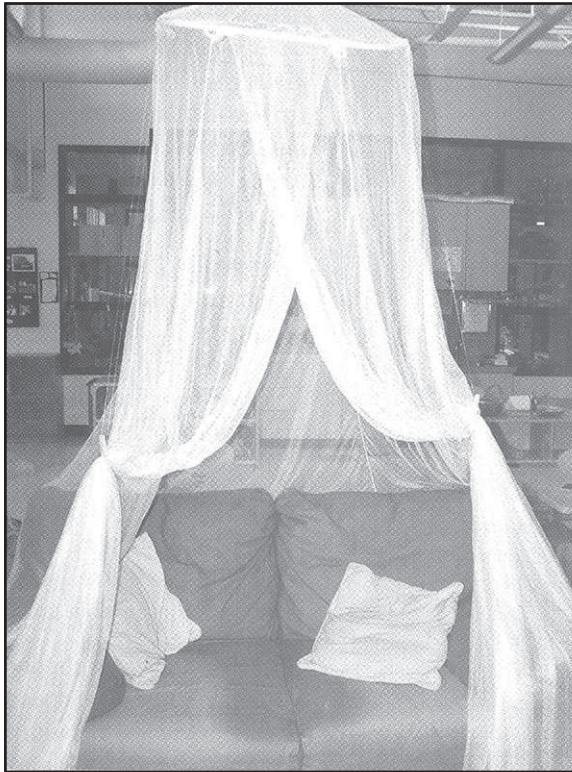
"تؤثر الخبرات المبكرة في نمو الأطفال وتعلمهم، بطرائق متراكمة ومؤجلة بعيدة المدى، ويستغرق كل من النمو والتعلم فترات مثالية للحدوث" (Copple & Bredekamp, 2009, P.12). تعد السنوات الأولى مهمة لتعلم الأطفال الحالي والمستقبلي. فالبيئة الفاعلة هي إحدى الطرائق التي نقدم بها الخبرات والتجارب التي يحتاج إليها الأطفال لينمو على نحو مثالي.

إن مبادئ تنمية الممارسات المناسبة تقدم للمعلم، ومصمم البيئة المعلومات التي يحتاجون إليها. وبالتالي فإن البيئات المصممة جيداً تعمل على دعم وتنمية الممارسات المناسبة.

تقليل المشكلات السلوكية عن طريق التصميم البيئي:

Reducing Behavioral Issues Through Environmental Design

علاوة على المساعدة في تنمية الممارسات المناسبة، تقلل البيئة المصممة جيداً من المشكلات السلوكية، إذ تسمح للمعلمين بقضاء وقتاً أكبر في توجيهه وقيادة التعلم، ويمكن أن تساعد البيئة على تقليل المشكلات السلوكية بثلاثة طرائق.



1- يظهر الأطفال الذين يشاركون بفاعلية في الأنشطة التي يختارونها بمحض إرادتهم مشكلات سلوكية أقل؛ حيث تمد البيئة المصممة جيداً الأطفال بالعديد من الخيارات التي تناسب مستويات النمو المختلفة، ومستويات النمو المتفردة، وتقدم لهم أساليب التعلم المفضلة، وفق اهتماماتهم الخاصة.

2- توفر البيئة المصممة جيداً الأنشطة الهادفة التي تساعد الأطفال على التحكم في مشاعرهم.

3- يصمم المعلم باهتمام وعناية بيئة تمنع المشكلات السلوكية الشائعة.

لمنع المشكلات السلوكية الشائعة:

• يصمم المعلمون مراكز التعلم

منطقة القراءة المغرية هذه في مدرسة معمل هيلين جوردن في بورتلاند، أوريغون، تمدنا بالخصوصية والشفافية

فهم أهمية البيئة

.....✂

(مساحات خاصة، سواء داخل الدار أو خارجها لتأدية أغراض محددة) والتي تتيح للمجموعات الصغيرة العمل معاً، من غير تدخل أو إعاقة من الآخرين.

• يتم وضع حواجز بين المناطق لتوفر مجالا محصنا للعب، وتساعد الأطفال على المحافظة على تركيزهم.

• تمنع الحدود الواضحة المواد الموجودة في منطقة ما من التداخل مع مناطق أخرى. على سبيل المثال، يتم وضع رفوف بين مناطق الفن والمكعبات، لتمنع الحركة تحت الحوامل.

• يتم منع النزاع على الموارد المحدودة من خلال توفير عدد كاف من المواد (وبالنسبة للأطفال الصغار جدا، من الضروري توفير نسخ متطابقة).

• توزيع المواد المثيرة والمشوقة على كل مراكز الأطفال تمنعهم من التجمع في مركز واحد.

• تسمح الأرفف المنظمة والمعنونة للأطفال بتحديد موضعها بسهولة وبتخزين المواد التي يحتاجون إليها على نحو منظم.

• إن عرض المواد والكتب على نحو جمالي وبحالة جيدة، يدفع الأطفال إلى المحافظة عليها ورعايتها.

• يتم تصميم الأرضية بطريقة تمنع الأطفال من اعتبارها ميدان سباق. فعلى سبيل المثال، عندما يكون هناك طريق دائري واضح فإنه يدعو الأطفال إلى الركض (انظر الفصل الخامس لعينات من تصاميم الأرضيات).

• تقليل كثافة، وعدد الأطفال الموجودين في مجال محدد؛ فالازدحام يُشجع السلوك العدواني (انظر الفصل السادس للأبحاث والمعلومات عن الكثافة).

• تحقيق حاجات الطفل من الأمن والصحة، المخصصة للنوم والاسترخاء (لتعلم المزيد عن ذلك انظر الفصل الرابع).

إذا كان لديك مشكلات سلوكية في فصلك، انظر أولا للبيئة المحيطة لترى ما إذا كان التغيير سوف يؤدي إلى حل المشكلة أم لا. على سبيل المثال، كنت مستشارا لبرنامج، حيث حدث ما يأتي:

كان المعلمون محبطين جدا؛ بسبب أن ثلاثة أطفال كانوا يجرون بالشاحنات الكبيرة (المخصصة لمنطقة البناء) تحت أرفف الفن. وقبل وصولي بيوم واحد، سقط أحد الأرفف، مبعثرا الدهان في كل مكان. قام المعلم بوضع الأطفال المعنيين بهذه المشكلة في مكان الاستراحة، لكنهم في اليوم التالي قادوا شاحناتهم تحت الحوامل مجدداً، وهنا منع المعلم

الأطفال من الدخول إلى منطقة البناء لمدة أسبوع واحد، وعندما وصلت لاحظت عدم وجود تقسيمات واضحة بين منطقة الفن ومنطقة البناء. وفي رأيي، أن الأطفال في أثناء زحفهم على الأرض ربما كانوا يهتمون باللعب غير مبالين بالحواجز. وبعد مناقشتنا، أعاد المعلم تصميم الحجرة واضعا حواجز واضحة بين منطقتي الفن والبناء. وبذلك حل المشكلة بينما عجز أسلوب العقاب عن حلها.

ويذكر كل من توريل و دوريت " أن البيئة المصممة جيدا تدعم العلاقة بين مقدم الرعاية و الطفل، فهي تقلل من التحكم والأنشطة الوصائية؛ وتسمح بذلك لمقدمي الرعاية بقضاء وقتنا أكبر في التفاعل مع الأطفال، وملاحظة نموهم، وتيسير تقدمهم". (1996,P.5)

لقد رأينا كيف تدعم البيئة المصممة جيدا تنمية الممارسات المناسبة، وكيف يمكنها أن تقلل المشكلات السلوكية. والآن ، سوف ندرس الأصول التاريخية للبيئة كعنصر رئيس للتعليم في الطفولة المبكرة.

الباحثون والاتجاهات التي تدعم أهمية البيئة:

Theorists and Approaches Supporting the Importance of the Environment

يؤيد الباحثون، ومناهج وفلسفات الطفولة المبكرة الحاجة إلى بيئة غنية. ولكن، ما معنى بيئة "غنية"؟ وما هي خصائصها؟. وسوف نبدأ نقاشنا مع مونتيسوري Maria Montessori والتي يرجع إليها الفضل في تصميم وتطوير بيئات جميلة مناسبة لحجم الطفل، وملئية بالعديد من المواد الجاذبة. ولقد أثرت فلسفة Maria Montessori في نظريات كل من بياجيه وفايجوتسكي (Mooney, 2000)، والتي سوف نناقشها فيما بعد. وفي الختام، سوف نناقش وجهة نظر لوريس مالغوزي Loris Malaguzzi، والذي بني على أعمال كل من فايغوتسكي و بياجيه ومنظرين آخرين ليطور مدخل ريجيو اميليا (Rankin, 2004) يساعدنا فحص الباحثين والمناهج في فهم الأسس التاريخية والفلسفية لتصميم بيئات التعلم.

Montessori

مونتيسوري

عندما نقوم بتجهيز بيئات منظمة ونظيفة وجميلة، مستخدمين أثاث مناسب لحجم الأطفال ومواد جذابة، علينا أن نقدم الشكر للدكتورة ماريا مونتيسوري Maria Montessori- الطيبية الإيطالية- التي كانت أول من نصح بتلك التجهيزات. حيث تعد البيئة المجهزة بعناية المفتاح الرئيس لفلسفة مونتيسوري إذ تقول:

"إن التأثير الهائل الذي يمكن للتعليم أن يمارسه على الأطفال، بتجهيز البيئة بأدواتها، ليتشرب الطفل بيئته، ويأخذ منها كل شيء، ويجسدها في نفسه". (1995,P.66)

فهم أهمية البيئة

ووفقاً لمونتيسوري (1995)، يجب أن يجد الطفل بيئة محفزة له، بحيث يستمتع في مواصلة الأنشطة المتاحة. وعند ذلك، سوف يرغب الطفل في أن "يُنْفِذ تجاربه وخبراته الخاصة" (Montessori, 1995, P.92)

وتؤكد مونتيسوري أن البيئة يجب أن تعمل على تحرير الروح، وتعزيز الاستقلالية، وتسمح بالنشاط، وأن تكون جميلة آمنة ومنظمة. فمن الضروري أن تكون البيئة منظمة لمنع الأطفال من هدر طاقاتهم بحثاً عن المواد (Standing, 1957) وعلاوة على ذلك، تؤمن مونتيسوري بأنه عندما يلعب الأطفال في بيئة منظمة، تصبح الرغبة في التنظيم جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم.

وفقاً لمونتيسوري تنطبق البيئات المناسبة لحجم الطفل ليس فقط على الأثاث، ولكن على كل ما يتضمنه المبنى (مثل: النوافذ القريبة من الأرض، ومقابض الأبواب المنخفضة، والدرجات القصيرة) (Standing, 1957) وقد فضلت استخدام أرفف منخفضة ومفتوحة لعرض مواد التصحيح الذاتي (على سبيل المثال، يتم وضع الاسطوانات البارزة مرتبة حسب الحجم وفي إطار يسمح للأسطوانة ذات الحجم الصحيح بأن توضع فيه دون غيرها). وقد نصحت ماريا مونتيسوري أيضاً بتوفير أدوات عمل حقيقية للأطفال – مثل السكاكين، والمقصات للقطع، والكريك، والمقلاع لعمل الفتحات، وأنواع الطلاء الجيدة والصلصال.

وهي تؤمن أيضاً بالجمال. ووفقاً لها، ينبغي أن تكون البيئة والأدوات متجانسة من حيث الألوان، والنظافة، واللمعان. وتشدد أيضاً على أن تكون المواد عملية. على سبيل المثال، استبدلت عدة مناظير جميلة وغالية الثمن من الرخام قد تم التبرّع بها إلى مركز مونتيسوري بمناظير خشبية أخرى عملية أكثر وبسيطة؛ حتى يتمكن الأطفال من تحريكها بسهولة.

إن هدف البيئة وفقاً لمونتيسوري هو "أن تجعل الطفل الناشئ مستقلاً عن البالغ. وهذا يعني، أنها مكان يمكن للطفل أن يقوم بعمل الأشياء بنفسه – وأن يعيش حياته الخاصة – دون المساعدة الفورية من البالغين" (Standing, 1957, p. 267) حيث يصبح الطفل في هذه البيئة "أكثر نشاطاً، ويصبح المعلم سلبي أو مُغيب أكثر فأكثر. فهي المكان الذي يدير فيه الطفل حياته: وبذلك، يصبح واعياً، ومدركاً لقدراته الخاصة. فما دام يعتمد الطفل على البالغين، فإنه لا يمكنه أن ينمو كما ينبغي (Standing, 1957, p. 267) وبالرغم من ذلك، شعرت مونتيسوري بأن المعلم يلعب دوراً هاماً حيث يحصل الأطفال على المواد التي يزودهم بها المعلم فقط (Montessori, 1995) بالإضافة إلى أن المعلمين يلاحظون الأطفال، ويوجهونهم على نحو محدد وخاص جداً فيما يتعلق بكيفية استخدام المواد، ويدعمونهم عند الحاجة. وبالرغم من

ذلك، يقدم المعلمون احتراماً للعاملين ولا يتدخلون إلا إذا لزم الأمر. فالمعلم البارِع "يجب أن يظهر حضوره ووجوده لهؤلاء الذين يبحثون عنه ، ويخفيه عن هؤلاء الذين لمسوه بالفعل (Standing, 1957, p. 280).

Piaget

بياجيه :

وسار بياجيه Piaget على نهج مونتيسوري، فقد آمن ببياجيه بأن الأطفال يتعلمون من خلال اللعب بشغف، وأكد أيضاً على أن الأطفال يبنون معارفهم من خلال المشاركة الفاعلة، والتدخل النشط في اللعب؛ حيث يقول "إن التجارب والخبرات مهمة جداً للنمو العقلي، لكنني أخشى أننا قد نقع في وهم أن التعرض للخبرة (عن طريق العرض) شيء كاف للطفل لتحرير المضمون الكامن فيها أو المغزى منها". (Duckworth, 1964, P.174)

وعلى أي حال، نحتاج إلى ما هو أكثر من مجرد الخبرة. "إذ يجب أن تكون المادة المقدمة الفاعلة، وأن تتضمن تحويل الأشياء، وأن يكون الطفل التركيب المناسب وينظم أفعاله على الأشياء" (Piaget, 1964, p.4) وعلاوة على التجريب يجب أن يكون الطفل مستمتع بخبرة التعلم (DeVries, 2004) فمن غير اهتمام واستثارة، لن يبذل الطفل المجهود الكافي لاستيعاب مضمون الخبرة. ويؤمن بياجيه بأن التعاون يساعد أيضاً على التعلم النشط، كما ويساعد الأفراد على التعاون في مواجهة العضلات والنزاعات الأخلاقية، وعلى إدراك التباين في الآراء ووجهات النظر، وبذلك يخلق حالة عدم اتزان معرفي (Bullard & Hitz, 1997). وعدم التوازن حالة غير مريحة تتواجه فيها المعلومات الحديثة مع المعرفة والاعتقادات والفرضيات السابقة أو الموجودة بالفعل. فعندما يحدث هذا، يمكن للفرد أن يستوعب المعلومات ويفهمها على نحو جيد، مطبقاً إياها على تفكيره ومعتقداته الحالية، أو قد يوفق أو يعدل من تفكيره أو معتقداته. فعلى سبيل المثال، قد يرى الطفل حصاناً، ويعتقد للوهلة الأولى أنه (بقرة) مستوعباً هذا الحيوان الجديد داخل فكره الحالي. وبالرغم من ذلك، إذا أخبر شخص ما الطفل بأنه حصان وليس بقرة فقد يكون الطفل فئة جديدة للحيوانات، موفقاً ومعدلاً في تفكيره. وأكد بياجيه أن "تفاعلات الطفل الجسمية والعقلية مع البيئة (التفاعلات الجسمية والاجتماعية)، والتي تؤدي إلى بناء شخصيته، تعد العامل الأهم في المدرسة فيما يتعلق بالنمو المعرفي عنده" (Wadsworth, 1989, p.165) ويؤمن بياجيه أيضاً بأن الطفل يحتاج إلى أن يكون قادراً على إعادة تشكيل الفراغ، ويتضمن ذلك النظر إلى الأشياء من عدة زوايا، مثل النظر إلى الأسفل من النافذة على مشهد موجود داخل غرفة الفصل.

وبالنسبة لبياجيه، المعلم هو مستشار يوجه، ويشجع الطفل على المبادرة، والتجريب، والتفكير المنطقي والاستنتاج، والتعاون الاجتماعي. فهو ينظم ويشكل بيئات آمنة وداعمة

فهم أهمية البيئة

للاستكشاف والبحث الذاتي حيث يعطى المتعلمون الحرية في الاختيار من بين العديد من البدائل (Bullard & Hitz, 1997) ومثل مونتيسوري، يؤمن بياجيه بأن المعلم الفاعل يحتاج إلى أن يكون ملاحظ حريص ليتمكن من إعداد البيئات والتجارب التي تتحدى قدرات الأطفال.

فيجوتسكي: Vygotsky

عند تفكيرك في فيجوتسكي Vygotsky، ربما تفكر في نظريته المعروفة "منطقة النمو والتطور المتقارب". تلك هي المنطقة الفارقة بين ما يمكننا تحقيقه على نحو مستقل، وما يمكننا تحقيقه بمساعدة من أحد الزملاء أو المعلمين الأكثر كفاءة، وتسمى تلك المساعدة "التسقيّل"، وهي مثل سقالة البناء تساعدنا على الوصول إلى مستويات أعلى.

يؤمن فيجوتسكي بما يؤمن به بياجيه، في أن الأطفال يبنون معارفهم عن طريق الأنشطة، ويعد اللعب الوسيلة الأساسية في تحقيق ذلك. ويؤمن كلا المنظرين أن اللعب يعزز كل من التعلم المعرفي والاجتماعي. ووفقاً لـ فيجوتسكي، ينبغي أن يحتل اللعب وخصوصاً اللعب التمثيلي أو التظاهري المركز الأول في فترة ما قبل المدرسة أي الحضانة ورياض الأطفال (Bodrova & Leong, 2007) ويعرف فيجوتسكي اللعب بأنه نشاط يتطلب موقفاً تخيلياً يصطنعه الأطفال ويتقمصون فيه الأدوار ويتبعون مجموعة من القواعد والقوانين المرتبطة بها. يستخدم الأطفال اللغة، ومناقشة أدوارهم، وتنفيذ المشاهد، وتحديد العمليات المعززة لتعلمهم وتطورهم.

إضافة إلى اللعب، ينبغي أن يشترك الأطفال في فترة ما قبل المدرسة فيما أسماه فيجوتسكي الأنشطة الإنتاجية، مثل: سرد القصص، وبناء المباني بالمكعبات، والفن، والرسم. فالمهارات ما قبل الأكاديمية تكون مهمة ومفيدة فقط إذا ما كانت نابعة من اهتمامات الأطفال، وذات معنى بالنسبة لهم، وتحدث من خلال سياقات ومواقف اجتماعية مناسبة (Bodrova & Leong, 2007) ووفقاً لـ أتباع فيجوتسكي، يمكن أن تساعد الأنشطة الحركية (التمثيل وإيقاف وبدء اللعب) على النمو وخصوصاً الانتباه وتنظيم الذات.

وعندما يدخل الأطفال السنة الأولى في المدرسة، تصبح الأنشطة التعليمية هي الأساس. "إن أنشطة التعلم هي أنشطة موجهة من البالغين تدور حول مضمون ومحتوى محددين ثقافياً" (Bodrova & Leong, 2007) ومع هذا، لا يزال الأطفال في تلك المرحلة يستخدمون النماذج اليدوية والعروض البيانية). ويؤكد أتباع فيجوتسكي أن الأطفال أنفسهم يحتاجون إلى فهم الهدف من التعلم، وتعلم كيفية تقييم عملهم وفقاً لمعيار المستوى المقبول للأداء.

ولأتباع منحى فيجوتسكي، يجب أن تكون ملاحظاً يقظاً، وأن تستخدم المعلومات التي

تعلمتها لتخطيط وتنظيم أنشطة عملية تفاعلية، وأن توجه تعلم الأطفال. وبما أن فيجوتسكي يؤمن بأن التعلم يحدث في بيئات اجتماعية، فعليك أن تقدم لهم فرصة العمل معا، (Mooney, 2000) وبالإضافة إلى ذلك، دائما ما يشجع أتباع فيجوتسكي على نوعية اللعب من خلال مساعدتهم على تطوير خطط اللعب (انظر الفصل 12 للمزيد من المعلومات).

مدخل مالجازي و ريجيو إيميليا: Malaguzzi and Reggio Emilia Approach

أثرى مالجازي Malaguzzi -"القائد الفلسفي" لمنهج ريجيو إيميليا Reggio Emilia الملهم- منهجه ومدخله بأعمال كثير من الباحثين أمثال مونتيسوري وبياجيه وفيجوتسكي (Fraser & Gestwicki, 2002, p. 9; Rankein, 2004) وقد آمن هؤلاء الباحثون بأن الأطفال يبنون معارفهم من خلال المشاركة الفاعلة والنشطة مع البيئة. ومثل فيجوتسكي، أكد على أهمية التفاعل الاجتماعي في تنمية البنية العقلية للطفل.

في منهج ريجيو Reggio يبنى المعلمون البيئة والأنشطة التعليمية وفقا لتصور الطفل. وينظر إلى الطفل على أنه فريد، وفضولي، ومنافس ولديه طاقة، ومحب للإطلاع، وقادر، وكفء، وبارع، ومتمكن، وباحث عن العلاقات، وباني للمعرفة، ومالك للحقوق أكثر من الواجبات، (Fraser & Gestwicki, 2002, p. 9; Rankein, 2004) وتؤثر تلك الصورة في الطريقة التي يتعامل بها المعلمون مع الأطفال. حيث يرون أنفسهم مساعدين - لمشيدي المعرفة أو شركاء في تعلم الأطفال.

وظّف معرفتك: ما هي الصفات التي تستخدمها لوصف صورة طفل ما؟ وكيف تؤثر هذه الصورة في تعاملك مع طفل آخر؟

يتم الإشارة إلى بيئات ريجيو إيميليا بأنها "المعلم الثالث" (حيث يعد المعلم والآباء هم المعلمون الآخرون). وتؤيد عدة مبادئ هذا المفهوم (Fraser & Gestwicki, 2000, p. 9; Gandini, 2004) فالبينة في منهج ريجيو و إيميليا:

- جمالية تحوي العديد من المواد والمساحات الجميلة. وهناك اهتمام كبير في ملامح البيئة وتفصيلها من غير إغفال الزاوية، الحائط، السقف أو الأرضية.
- شخصية للغاية، تعكس ثقافات واهتمامات السكان من خلال الصور، والمواد، والأعمال الفنية، والمدونات (Gandini, 2004).

● تعزز التعلم النشط من خلال فرص غزيرة للتعلم، والتي تتضمن العديد من الخيارات والبدائل، والعروض المثيرة، والعديد من المواد مفتوحة النهاية ومتعددة الاستخدام والمحفزة للأطفال فكريا. فالمدرسة هي "ورشة عمل للبحث والتجريب، ومختبر للتعلم

فهم أهمية البيئة

الفردى والجماعي، ومكان للبناء" (Ceppi & Zeni, 1998, p.14)

• تشجع على التفاعل مع المواد من خلال استخدام المحفزات والمثيرات -الأنشطة، والمواد، أو الأسئلة التي تثير الفكر، وحل المشكلات، والإبداع- العديد من الأشياء المختلفة الواقعية، والأجسام الملونة الجميلة، والأشياء الطبيعية، والأثاث الحقيقي، والأدوات، والأواني- والعروض الجميلة التي تركز على المواد، والمرايا التي يتم وضعها لرؤية الأشياء بطرائق جديدة (Strong -Wilson & Ellis, 2007)

• تشجع الأطفال على التعبير عن أفكارهم من خلال العديد من الوسائل التعليمية. فكل مركز له رسام خاص (معلم متمرس على الفنون التشكيلية) ومرسم (استديو للفنون المشتركة). وإضافة لذلك، تمتلك العديد من الفصول مراسم مصغرة (ورش رسم صغيرة). ولقد أعطى مالجازي للفن معنى جديدا (Rankin, 2004)، مستخدما الفن كوسيلة للتعبير عن أفكار الفرد ومعتقداته، ومعارفه، واهتماماته، وأيضا لتعزيز تفكيره. فعندما يبدع الفرد في الفن، والمعرفة فإن أفكاره وآراءه تصبح أكثر وضوحا، كما وتنبع تساؤلات وأفكار وآراء جديدة.

• ترحب بالأطفال والأسر والمعلمين وتنظر إليهم على أنهم ثلاثة عوامل أساسية في العملية التعليمية. وكما ذكر رينالدي Rinaldi، "كل شيء يحدث لفرد يؤثر على فرد آخر" (2001,p.53) يتسم مجتمع وجمهور ريجيو بالتعاطف، وتقريب الروابط، وتبادل المعرفة، والمخاوف، والآمال. وبناء للقيم والمعاني المشتركة (Ceppi & Zeni, 1998, p.11)

• "تعزز التواصل والعلاقات" (Gandini, 2004, p.17) عن طريق تصميم الأنشطة والمكان والمساحات. فالمساحات متاحة للأطفال ليعملوا فيها في مجموعات صغيرة أو فرادى إذا فضلوا ذلك. تشجع المناطق المشتركة مثل الرواق أو الساحة المركزية كل من الأطفال، والآباء، والمعلمين من المجموعات المختلفة على التفاعل. وتكون البيئة غنية أيضا بأعمال المجموعات. فهي "شهادة حية على التفاعلات التي تحدث في البيئة" (Strong -Wilson & Ellis, 2007)

• توفر التجارب الحسية الغنية التي تشجع على "الاستكشاف، والتحري، والبحث مستخدمين الجسد كله". فالبيئة نفسها -حوائط وأرضيات وأسقف- تكون متعددة الحواس تحوي العديد من الوسائل التعليمية الحسية، وبهذا يمكن تلبية احتياجات كل الأطفال (Ceppi & Zeni, 1998, p.8)

• توفر الشفافية، فالضوء لامع في كل مكان، من خلال النوافذ المنخفضة، منعكسا عن

الهواتف النقالة والمرايا اللامعة المعلقة في الأسقف ، والحوائط، والشرفات؛ مشرقاً من خلال مميزات الضوء المثيرة، متغلغلاً من خلال الستائر والأقمشة الشفافة، والأجسام الزجاجية الجميلة، والأفلام الشفافة الملونة على النوافذ والجدران المصنوعة من قبل الأطفال على الصحائف البلاستيكية (Fraser & Gestwicki, 2002) فيمكن للأطفال أن ينظروا من مكان إلى آخر، في الخارج أو في فصل آخر. ويمكن القول إن الشفافية والانفتاح تتقاسم التعلم مع الوثائق والمستندات (Fraser & Gestwicki, 2002).

● تجلب العالم الخارجي إلى الداخل. ويتضمن ذلك العالم الطبيعي والعالم الاجتماعي - المجتمع والثقافة-. فالبرنامج يتضمن التفاعل مع العالم الخارجي. حيث ينبغي ألا تكون المدرسة نوعاً من العالم المقابل، وإنما تكون جوهر وصفوة المجتمع المحيط بها، فهي جزء من العالم الأكبر" (Ceppi & Zeni, 1998, p.6)

● تدعم المرونة والإبداع من خلال تشجيع الأطفال والبالغين على استخدام الأشياء والمساحات بطرائق خيالية.

● توفر التبادلية أو المعاملة بالمثل. فالبيئة ليست سلبية ، ولكن عوضاً عن ذلك، فهي أشبه بالكائن الحي حيث تتكيف تأثراً وتأثيراً بأفعال الأطفال والبالغين (Fraser & Gestwicki, 2002; Gandini, 1998)

إن معلم ريجيو إيميليا مراقب متحمس، والذي يكون مستمعاً ومفسراً نشطاً عندما يستخدم تلك المعرفة ليشكل المحفزات التي تساعد الأطفال على التفكير بعمق أكثر، ويخبر الفرضيات، ويصمم مناهج مرنة، ينفذ المنهاج على مهل، ويتدفق على نحو طبيعي متأثراً بأفكار الأطفال والمعلمين (Gandini, 2004) (كذلك، يتعاون المعلم مع الأطفال، وزملاء العمل، والأسر، والمجتمع لتشكيل "مجتمع المتعلمين" (Fraser & Gestwicki, 2002).

اهتم كل من مونتيسوري وبياجي وفيجوتسكي ومالجازي بالبيئة باعتبارها معلم مهم للأطفال الصغار. صنف كل منهم المعلم على أنه مصمم للبيئة، وموجه لتعلم الأطفال. وسوف نستفيض في مناقشة دور المعلم في دعم تعلم الأطفال خلال الجزء الآتي.

الخطوط العريضة لخلق بيئات تعلم فاعلة:

Guidelines for Creating Effective Learning Environments:

Role of the Teacher

دور المعلم:

يتطلب التدريس بفاعلية ومن خلال البيئة من المعلم أن يكون على وعي بالأطفال الموجودين في فصله - مستويات نموهم، وخلفياتهم الثقافية، واهتماماتهم، وأساليب تعلمهم، وميولهم،

فهم أهمية البيئة

والفوارق السلوكية)، وإرشادات التعلم المبكر-، ومعايير المنهج ، ونواتج البرنامج المناسبة لعمر أفراد مجموعته - وعمل تغييرات البيئة المطلوبة على مدار العام.

وأخيرا، يجب أن يكون كل هذا متاحا في أثناء استخدام الأطفال للبيئة ليقود تعلمهم. وفي هذا الجزء سوف نناقش الشروط الأساسية لتأسيس البيئة ، وبعض النقاط الرئيسة للتصميم البيئي ، ودور المعلم فور تصميمه للبيئة. وسوف نستفيض في دراسة كل من تلك العناصر على مدار الفصول القادمة.

الشروط الأساسية لتكوين بيئة غنية:

Prerequisites for Establishing a Rich Environment

يجب أن يمتلك المعلم المعرفة والمهارات قبل الشروع في تصميم البيئة التعليمية. ولا بد أن يخضع هذا التصميم لاعتبارات محددة منها:

- تطور الطفل والخبرات المناسبة للمراحل النمائية المختلفة. وتشكل المعلومات القاعدة الأساسية للتخطيط ووضع المنهاج وتطوير البيئة.

- مستوى النمو واهتمامات كل طفل على حدا، حتى يمكن تطوير البيئة على نحو هادف ومفيد لكل طفل. ويتحقق ذلك في الغالب عن طريق استخدام أساليب تقييم غير رسمية أو غير منظمة مثل: الملاحظة ومقابلة الطفل ومناقشته. كما يمكن أن توفر مقابلات أولياء الأمور معلومات مهمة. في إحدى مراكز رعاية الأطفال تم إرسال كيسا من البلاستيك لكل أسرة قبل بدء البرنامج وطلب منهم أن يضعوا فيه الصور أو الأشياء التي توضح اهتمامات طفلهم. ثم جمع المعلمون هذه المعلومات واستخدموها كقواعد أساسية لتصميم البيئة الصفية .

- خلفية الأطفال الثقافية لضمان أن التجارب والبيئات مرتبطة ومناسبة لكل طفل ومرتبطة بهم. وتقول جراسيا - باحثة في خدمة ثقافة الأطفال والأسر- "أننا يجب أن نبحث عن المعلومات كالباحث في علم السلالات والأجناس البشرية" (2003, p.16) حيث تعد معرفة ثقافتنا الخاصة، وتأثيرها على قيمنا، ومعتقداتنا، وممارساتنا بمثابة الخطوة الأولى لتحقيق الكفاءة الثقافية"، وبعدها أصبح مستعدين لتعلم ثقافة الآخرين. ويمكن أن تساعدنا المعلومات العامة عن ثقافة الأطفال خلال أنشطة مثل: القراءة، التحدث إلى قائد المجموعة، ودعوة محاضرين زائرين للتحدث في البرنامج قد يساعد في تفهم ثقافة الآخرين. وإدراك أن كل أسرة تشكل حالة فريدة، يمكننا أن نوظف تلك المعلومات والمعارف في التحدث مع كل أسرة عن قيمها وممارساتها الخاصة (Marshall, 2003)